الفصل السابع

التحريف التوراتي تحت المجهر

لم يلتصق مفهوم التحريف والتبديل بأمة أو فئة مثلما التصق ببني إسرائيل. ويبدو أن ذلك التصق بهم منذ بدء وجودهم فأصبح من سماتهم النفسية والشخصية والعقيدية فقد تعودوا التحريف كما تعودوا الانقلاب المفاجئ على الدين والأنبياء، وليس غريباً عليهم أن يكون ديدنهم التحريف المستمر، لأنهم جبلوا على التقلب العقيدي منذ خروجهم مع النبي موسى عليه السلام من مصر إلى سيناء.

فهم الذين طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً كما جعلت الشعوب لها آلهة، وهم الذين انقلبوا إلى عبادة العجل أثناء غياب موسى عليه السلام لتلقي رسالة الله، وهم الذين يئس النبي موسى منهم آخر المطاف فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة 25]. وكان ذلك نهاية العلاقة بين النبي موسى وأخيه وبين بني إسرائيل. فتاهوا بعدها تيهاً عقيدياً قبل أن يتيهوا تيهاً جغرافياً وضياعاً.

وإذا سرنا مع سيرة بني إسرائيل بدءاً من سورة البقرة وجدنا أن تبديل القول والتحريف من قبلهم أخذ أقصى مداه.

وأول الآيات التي تطالعنا بهذا التبديل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة 58-59].

وقد تكررت معاني هذه الآية وأغلب ألفاظها في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف 161-162]. فالسياق واحد والاختلاف وقع في كلمتي (أرسلنا ـ أنزلنا) وفي كلمتي (يظلمون ـ يفسقون) لقد بدلوا ما أمروا به من التوبة والاستغفار بغيره من كلام آخر فقالوا مكان حطة حنطة، وكذا بدلوا الفعل فدخلوا يقتلون ويمكرون بدل أن يدخلوا منحنين خاضعين.

ولا منافاة بين أرسلنا وأنزلنا لأنهما لا يكونان إلا من الأعلى إلى الأسفل، وهناك يفسقون وهنا يظلمون، والجمع بين اللفظين أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا وفسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله أنزل الله عليهم العذاب متفرقاً ثم دفعة واحدة.

ثم يأتي التحريف وهو أشد جرماً من التبديل لما فيه من مسّ في العقيدة والتشريع وقد جاء مصطلح التحريف في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء 46].

وقوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة 13]

وقد اتخذ التحريف في بني إسرائيل عدة طرق وعدة مقاصد.

فقد حرفوا العقيدة، وفي الحديث في قصة الخلق، وفي الحديث عن الأنبياء وحرفوا في التشريع والمعاملات والعبادات والعلاقات مع غيرهم.

وطالما أن التوراة ظلت تنزل على أنبيائهم مئات السنين فإن التحريف أيضاً ظل ملاصقاً بهم مئات السنين. وجاء التحريف الأكبر على يد عزرا الكاتب الذي دوّن هذه التوراة العبرانية نقلاً عن كبار رجال الكهنوت اليهودي بما حفظوه وتوهموه وحلموا به.

ومن المعروف أن تدوين التوراة تم على يد عزرا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد على رأي غالبية الدارسين والمؤرخين وهذا يعني أنه تم التدوين بعد موسى عليه السلام بحوالي ثمانمائة سنة على أقل تقدير.

وإذا تفحصنا آيات القرآن الكريم الخاصة بالحديث عن تحريف بني إسرائيل لكتاب الله وجدنا أنهم تنقسم إلى قسمين:

1 ـ قسم ذو طبيعة إخبارية، يخبر به الله عز وجل نبينا محمداً ﷺ عما فعلوه من تحريف في الماضي.

2 ـ وقسم ذو طبيعة آنية؛ بمعنى أنه ارتبط بالجدال والحوار بين النبي ﷺ وبين أهل الكتاب في المدينة.

فقد غيروا في صفات النبي ﷺ وهذه الصفات موجودة في كتاب موسى عليه السلام وفي التوراة، وقد نسوا حظاً مما ذكروا به، وقد تركوا نصيباً وافياً من كتاب موسى والتوراة، وإعراضهم عن ذلك ضياع حظ عظيم. لقد نسوا كثيراً من أحكام التوراة وآياتها بسبب سوء أعمالهم. تركوا نصيبهم مما أمروا به من الإيمان بالنبي ﷺ.

وقد تقصدوا نسيان حظهم، فنسيانهم هو ترك الشيء بذهول وغفلة أو بتعمد وقصد وقد نسوا عن قصد وعمد وليس عن غفلة.

وقد بين الله سبحانه ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ وهذا الخطاب للنبي محمد ﷺ، إذ يقول تعالى: إن الخيانة من طبيعتهم وطبيعة أسلافهم لقد كانوا يخونون رسلهم وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة 75] ويتضح أن فريقاً من هؤلاء هم المعنيون بتحريف كلام الله، وهذا الفريق يتسم بأنه مسؤول عن سماع كلام الله ومن ثم تحريفه. والواقع أنه ليس بمقدور أحد من العامة أن يجرؤ على التحريف، وأكثر الناس قدرة وميلاً للتحريف هم زعماؤهم الدينيين من الكهان والحاخامات والأحبار.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة 41].

فهاتان الآيتان تشيران إلى أن الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه هم الأحبار القادرون على اللعب بكلام التوراة وتحريفه.

وفي أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ يتضح مدى فسادهم في تحريف التشريعات التوراتية.

وقد جاءت الآية في سياق قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة 41].

ولهذا قصة وسبب حيث أن جماعة يهودية من بني قريظة سألوا رسول الله ﷺ عن حكم الزاني والزانية إذا كان محصنين، وكانوا قد كلفوا من قبل يهود خيبر بهذا السؤال حيث زنى فيهم محصنان، ولم يأتوا إليه ﷺ (أي أن خيبر لم يأتوا له) فبعثوا جماعة من يهود قريظة. وكان يهود خيبر وعلى رأسهم أحبارهم قد حرفوا آية الرجم وغيرها من الأحكام الموجودة في التوراة.

وقد نبه الأحبار وفدَ يهود قريظة بقولهم إن أوتيتم الحكم الذي يناسبنا فخذوه وهو الجلد بدل الرجم، وإن لم تؤتوه، أي إن أفتاكم بغيره فلا تقبلوه.

وقد أمر الرسول ﷺ بالرجم فأبوا فجعل ابن صوريا وهو من علماء اليهود المعظمين عندهم حكماً بينه وبينهم وقال له، أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي أنزل عليكم كتابه حلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من أحصن؟ قال: نعم. فوثبوا عليه فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما عند باب المسجد ونزلت الآية الكريمة تبين ما بيتوه من مكر وخديعة وكشفت نواياهم الخبيثة.

وقد أقام رسول الله ﷺ الحد على الزانيين حين ترافعوا إليه ولو لم يترافعوا إليه لما تعرض لهم بالحكم عليهما.

ثـم يـأتي قولـه تعـالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة 75] فهذا الخطاب موجه للنبي محمد ﷺ وأصحابه، والاستفهام إنكاري أو استبعادي. وقد وجه الله سبحانه هذا الخطاب للأمة تحذيراً لها من أن تقع في حبال اليهود وشراكهم. فلا تطمعوا أن يصدقوكم أو يؤمنوا لكم ويتبعوا دينكم لأن فيهم فريقاً ـ وهم الأحبار ـ كانوا قد قرأوا كتاب موسى والتوراة وعقلوه وفهموه ولكنهم حرفوه وخاصة في صفة النبي ﷺ وآية الرجم. وكانوا يكتبون من تحريفاتهم أكحل العين، أزرق العين، أجعد الشعر، سبط الشعر، ربعة، حسن الوجه طويل.

فإذا كان أحبار اليهود بهذه الصفة فكيف تتوقعون إيمان سفلتهم وجهّالهم، وإنهم إن كفروا فلهم سابقة في ذلك.

بعد أن ظهر لنا من القرآن الكريم كيف أن عادة التحريف والتبديل قد التصقت ببني إسرائيل نعود إلى ما قاله أحد حاخاماتهم وهو السموأل بن يحيى المغربي في كتابه المسمى (غاية المقصود في الرد على اليهود) وهو أحد أحبارهم وقد هداه الله للإسلام. فقد بين الكثير من تحريفاتهم التي أجروها، إن كان ذلك في التشريع أو العبادات.

التحريف فيما يقال في الصلاة عند اليهود

يقول السموأل: ما تقولون في صلواتكم وأصوامكم؟ هل هي التي فارقكم عليها موسى صلى الله عليه وسلم فإن قالوا: نعم، قلنا: فهل كان موسى وأمته يقولون في صلواتهم كما تقولون؟

(تقلع شوفار كادول لخير وثينوا وسانيس لفنو صيينوا وقبصتنو نلخد ميئار باع كنفوت ها أرض النوى قد شيحنا باروخ إثا أدوناي مقبيص نزحى عمو يسرايل).

وتفسيره: "اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قدسك. سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل".

أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما يقولون في كل يوم: (هاشيت شو فطينوا كبار يشونا يو عصينو لبتحلا ويني إث يروشالايم عبر قدشيخا يحيينوونا حمينو بنيا نماه باروخ أثا أذوناي بوني يرشالايم).

وتفسيره: "اردد حكامنا كالأولين ومشيرينا كالابتداء وابن يروشلايم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها. سبحانك يا باني يورشلايم".

أم هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة.

فتغير الكلام وتبديله طرأ في صلاة اليهود بعد السبي البابلي في منتصف القرن السادس ق.م ودليل السموأل هنا واضح على التحريف والنسخ. فالقول الأول عبارة عن دعاء يهودي قيل في صلواتهم أيام السبي، ومضمونه الطلب من الله أن يعتقهم من الأسر والعبودية ويجمعهم بعد أن شتتهم البابليون، ويدعون ربهم أن يعيدهم مجتمعين في (أورشاليم) القدس.

أما النص الثاني الذي أورده السموأل وقال إنه منسوب إلى موسى عليه السلام ويقوله اليهود في صلواتهم، فالواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ولم يدخل القدس، وقد توفاه الله سبحانه قبل أن يتسرب بنو إسرائيل إلى فلسطين وهذا ما ورد في التوراة وأشار إليه القرآن الكريم بوضوح.

ويشير السموأل إلى تحريف في أوامر العبادات ومنها الصوم.

فعندهم ما يسمى صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره، وصوم كذليا.

فيقول في ذلك: أما صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كذليا الذي جعلتموه فرضاً، هل كان موسى يصومها، أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون، أو صوم صلب هامان هل هذه الأمور مفترضة في التوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه الأعصار؟ فإن قالوا: وكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر؟ قلنا: لأن التوراة نطقت بهذه الآية: (لوتو سيفو على هدايار أشير انوحي مصوي ايميم ولو تعرعو ميمنو) والتي تنص بقولها "لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً وإذا زدتم أشياء من الفرائض فقد نسختم تلك الآية".

وقد فرض اليهود صوماً إثر صوم بعد أن نزل على موسى عليه السلام الكتاب وبعد أن نزلت التوراة. ففي أيام النبي زكريا فرضوا أصواماً في الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر تذكاراً لحصار أورشليم في الشهر العاشر وسقوطها في الشهر الرابع وخرابها في الخامس، ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السابع، وسبب مقتله أنه وُجد مع امرأة زانية فقتلا معاً.

ويذكر السموأل سبب التبديل والتحريف في التوراة فيقول: علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة، لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي، ودليل ذلك قوله التوراة: (ويحتوب موش إث هتورا هزوث وتيناه إلهكو هنيم بني ليوي) وتفسيره: فهذه السورة لما قال الله عنها إنها لا تنسى من أفواه أولادهم، دل ذلك على أن الله علم أن غيرها من السور تُنسى. وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة. فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصّر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي تحفظها الكهنة ما لفق منه

هذه التوراة التي بأيديهم ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق؛ لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم. فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله، وهذا يدل على أنه ـ أعني الذي جمع الفصول التي بأيديهم ـ رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية. فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ماضي أفعاله والإقلاع عن مثلها.

obeikandl.com

التحريف والتبديل في صفة النبي المنتظر

لعل من أهم ما حرّفه أهل الكتاب صفات النبي المنتظر التي وردت في التوراة وكذلك في الإنجيل. وأشار إلى تحريفهم فيها القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة.

وحتى نكون على بينة من أمر ذلك التحريف آثرنا العودة إلى نصوص التوراة والإنجيل وما أشارت إليه من صفات النبي المنتظر وما أكده بعض أحبار اليهود والدارسين في العهد القديم.

فما بين الأنبياء صلات ليست كما هي الصلة بين بقية البشر، فهؤلاء الذين اصطفاهم الله لتبليغ دعوته ارتبطوا فيما بينهم بروابط غير مادية أو بشرية وأهمها أن الله سبحانه سمّاهم الأنبياء وربط بينهم في العقيدة والسلوك وطريقة التبليغ، لكن الله سبحانه بعث الأنبياء قبل الرسالة الخاتمة لأقوامهم تحديداً، فزمن النبي موسى ومكان ومساحة دعوته غير زمن داود أو سليمان أو صالح أو هود، وغير المكان والمساحة المكانية التي انتشرت فيها دعوتهم. وقد حدد القرآن الكريم أمكنة وجود هؤلاء الأنبياء أو أشار إلى حيثيات مكانية توضح البيئة المكانية المحددة التي تجولوا فيها داعين إلى الله سبحانه وتعالى وعبر سلسلة هؤلاء الأنبياء برز لنا النبي إبراهيم عليه السلام كواحد من الأنبياء، كلف برسالة إنسانية تجاوزت الزمان الواحد والمكان الواحد، لذلك تنقل من الأرض المباركة – فلسطين – إلى الجزيرة العربية وكان في الأساس قد انتقل بأمر ربه ووحيه من أرضه ووطنه الأساسي في أور العراق إلى الأرض المباركة.

ولذلك وصفه سبحانه بأنه إمام وأنه أمة. وكانت دعوته للناس كافة وليست لقوم دون قوم.

وما بين عصر النبي إبراهيم عليه السلام وعصر محمد رسول الله ﷺ أزمان طويلة ومتباعدة تخللها وجود أنبياء مرسلين، بعثوا لأقوامهم حتى تظل وتيرة دين التوحيد حيّة في الأرض وبين الناس.

لقد قص الله سبحانه علينا أخبار هؤلاء الأنبياء في قرآنه الكريم، فعرفنا إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وعرفنا موسى وداود وسليمان وإلياس وزكريا ويحيى

والمسيح عليهم السلام، وقص علينا القرآن قصص أنبياء آخرين كهود وصالح وشعيب ويونس وغيرهم، وعرفنا أن الله سبحانه آتى موسى كتاباً وكذلك عيسى آتاه الله الإنجيل وكذا داود آتاه زبوراً، وسار بقية الأنبياء على المنهج الرباني الذي اختاره لهم، وظلوا في دائرة تبليغ الدعوة الخاصة بأقوامهم. ولعل في ذلك سراً إلهياً حيث أراد الله سبحانه أن يختم هؤلاء الأنبياء بنبي عالمي إنساني ينسخ ما قبله ويوحد الأقوام والشعوب على دين إسلامي كامل متكامل لا يعود للإنسانية حاجة إلى كتاب أو رسالة بعده.

فهذا هو القرآن الكريم جمع الأول والآخر، الماضي والمستقبل، ولم ينقص فيه شيء، فهو دستور شامل متكامل للإنسانية جمعاء، وكذا رسالة الإسلام وكذا نبي الرحمة الإنسانية العالمية محمد ﷺ.

ولهذا فإن ما يلفت النظر في دعوة الأنبياء ما قبل رسولنا الكريم أنهم دوماً بشروا بنبي قادم مع الأزمان مهمته أوسع من مهماتهم ودعوته أشمل وأعم وأكمل. وأجمع هؤلاء الأنبياء وخاصة أنبياء بني إسرائيل على دعوة قومهم باتباع ذلك النبي ورسخت هذه الفكرة منذ زمن بعيد جداً في أذهان تلك الأقوام التي بُعث الأنبياء لهم، وظلت القلوب والعيون والعقول تنتظر النبي القادم الذي يختم به الله النبوات، ويكمل به كافة العقائد التي ارتبطت بالسماء، وأصبحت سمة الانتظار ظاهرة متواصلة خاصة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأنهم على صلة بما سمعوه من أنبيائهم وبما دوّن في الكتب السماوية التي أنزلت على موسى وعيسى وداود وأنبياء بني إسرائيل.

وعندما نطالع آيات القرآن الكريم وكذلك بعض نصوص التوراة والإنجيل وبعض ما قاله أنبياء بني إسرائيل، نرى أن هناك حالة عامة من الانتظار تسيطر على عقول تلك الأقوام وأصحاب تلك العقائد. ولم تقتصر حالة الانتظار على زمن دون زمن بل تعدت القرون حتى وُجد اليوم من يؤمن بأن المسيح الجديد هو المنتظر وأنه سيأتي إلى الأرض ويقود معركة ضد الكفار ويحكم ألف سنة سعيدة ويجلس على عرش داود في القدس وما إلى ذلك من قضايا تتعلق بهذا الانتظار الذي طال أمده.

وحين نحلل هذه الظاهرة نخلص بنتيجة مفادها أن بني إسرائيل لم ولن يقتنعوا بما أتى به الأنبياء جمعياً، وظلوا يتطاولون بأقوالهم وسلوكهم على الأنبياء الذين بعثهم الله لهدايتهم وإنقاذهم من ضلالهم، ويشككون بهم ويتهمونهم بالنقص، لم يُرضهم

موسى ولا داود ولا سليمان ولا عيسى عليهم السلام، وظلوا يخترعون العراقيل في طريق هؤلاء الأنبياء ظناً منهم أن المخلص الحقيقي لما هم فيه لم يأت بعد، وأن هؤلاء الأنبياء عاجزون عن تحقيق خلاصهم الكلي. فلذلك استمروا في تعجيز الأنبياء، فطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة، ومن عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وقد بلغ بهم الأمر أن شككوا بكل أقوال أنبيائهم وأفعالهم ولن يرضوا عنهم حتى يبينوا صفات النبي المنتظر الذي يقودهم إلى تحقيق غاياتهم، وأهمها السيطرة على البشر واستعبادهم، هكذا انتظروا وهكذا ينتظرون، لكن الله سبحانه يريد أمراً غير الذي يريدون. وهو أمر مناقض لأهوائهم وأمنياتهم الخسيسة والعنصرية.

obeikandl.com

النَّبيّ المنتظر في كتاب موسى

جاء في سفر التثنية وهو السفر الخامس من أسفار موسى عليه السلام حسب ترتيب التوراة العبرانية وكذلك السامرية أن الله قال لموسى عليه السلام:

(قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر الزمان نبياً مثلك من بني إخوتهم) وكل نبي بُعث بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام فلم يبق من بني إخوتهم إلا النبي محمد ﷺ لأنه من ولد إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحق وإسحق جد بني إسرائيل.

فكلمة من بني إخوتهم تعني من إخوة بني إسرائيل، ثم إن كلمة آخر الزمان تعني ختم النبوة وليس آخر حياة البشر على الأرض. فداود وسليمان وإلياس وعيسى عليهم السلام لا تنطبق عليهم عبارة آخر الزمان، فهم في سلسلة متلاحقة من النبوة، وكل نبي بشَّر بالنبي القادم آخر الزمان، أي آخر زمان النبوات.

والواقع أن بني إسرائيل ومنذ تلك اللحظة ظلوا يعيشون هاجس النبي القادم، وكلما جاء نبي حاولوا أن يتبينوا هل هو النبي المنتظر الذي أشار له كتاب موسى أم هو غيره. لقد قالت التوراة عند وفاة النبي موسى وفي آخر سفر من الأسفار الخمسة: لم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثل موسى.

لقد وصفوا النبي داود بالملك ولم يطلقوا عليه اسم النبي وأطلقوا على النبي سليمان الحكيم ولم يطلقوا عليه اسم النبي، وعندما بعث المسيح عليه السلام كذبوه ولم يعترفوا بنبوته على الرغم من أن بعضهم اعتقد أن عيسى هو المسيح المنتظر. لكنه لما خالف أهواءهم ووقف منهم ومن مصالحهم موقف المعادي رفضوه وحاربوه ولاحقوه وكادوا يقتلونه لولا رفعه الله إليه.

وانقضى عهد موسى وظلت فكرة الانتظار تشدهم نحو القادم الآخر الذي سيأتي محققاً حسب ظنهم كل أطماعهم ومصالحهم وسائراً في طريقهم المنحرف.

ومن العلامات التي أشارت لها التوراة والتي تنطبق على النبي محمد ﷺ قولها: (وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ قدماً من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم) وفاران هي جبال مكة بإجماع كافة

العلماء وخاصة كهنة بني إسرائيل.

وفي تحريفهم لذلك فقد أوردوا في سفر التكوين أن إبراهيم أخذ زوجته هاجر وابنه إسماعيل من الخليل باتجاه الجنوب وتدعي أنه وضعها عند بئر السبع بالقرب من جبال فاران.

ومن المسلمات التاريخية والمُجمع عليها أن مكان إسماعيل وأمه في مكة. وقد أشار إلى ذلك القرآن ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم 37] لكن كتبة التوراة وبسبب مكرهم وخبث نواياهم أبعدوا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أي علاقة ببناء الكعبة ظناً منهم أنهم سيحتكرون النبوة ويقصرونها عليهم، وبنفيهم هذه العلاقة فقد حرفوا في تحديد جبال فاران وادعوا أنها في بئر السبع، فهم لا يريدون أن يظهر نبي آخر الزمان في قوم غيرهم ليظلوا حسب ظنونهم أصحاب النبوات والرسالات.

وقد حاول بعض منظري الكهنوت المسيحي أن يطبقوا هذه النبوءة على السيد المسيح لكنهم فشلوا بسبب ما فيها من تحديد للأمكنة بعينها وكذلك الأشخاص.

وعودة إلى النبوءة التوراتية فإننا نرى فيها أكثر من إشارة، وقد أشرنا إلى العلامة الأولى وهي جبال فاران. أما الإشارة الثانية فقول النبوءة: وجاء معه عشرة آلاف قديس فهي إشارة إلى قدوم النبي ﷺ على رأس جيش المسلمين المؤلف من عشرة آلاف مسلم حين فتحوا مكة. أما الإشارة الثالثة فهي قول النبوءة: ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم. وهي تقصد رسالة القرآن والإسلام وتحطيم الأصنام وعقائد الوثنية في مكة وخاصة في البيت الحرام.

وقد أكدت هذه النبوءة التوراتية نبوءة أخرى جاءت على لسان أحد أنبياء التوراة وهو النبي حبقوق حيث يقول: القدوس من جبل فاران. جلاله غطى السماء والأرض امتلأت بحمده وتسبيحه.

النبي المنتظر في أقوال المسيح عليه السلام

ظل اليهود ينتظرون حتى بعث الله المسيح فظن بعضهم أنه النبي المنتظر. لكن المسيح عليه السلام أشار صراحة إلى أنه ليس النبي المنتظر إنما ذاك النبي له سمات وصفات مختلفة، جاء في الإنجيل قول للسيد المسيح ما نصه عن النبي المنتظر (سوف لا يتحدث عن نفسه لكنه يعيد على الناس ما سمعه) وهذه النبوءة تتطابق في معناها مع قوله تعالى عن النبي محمد ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم 3-4].

لقد أدرك أهل الكتاب أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ عندما بعثه الله، خاصة اليهود الذين ساكنوا الأوس والخزرج في المدينة، وقد عرفوا صفاته من خلال كتبهم وأدركوا أن الذي قاله النبي موسى بشأن النبي المنتظر وكذلك عيسى هو حق لا سبيل لنكرانه.

ماذا يقول القرآن الكريم بشأن النبي المنتظر؟

لا شك أن البحث فيما قاله القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع مرتبط كلياً بأهل الكتاب وخاصة اليهود.

ففي سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في سورة الأعراف يأتي قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف 155-157].

فمن خلال سياق الآيات السابقة ندرك أن الزمن المرتبط بها هو زمن سيدنا موسى عليه السلام. فالآية الأولى تحدد حادثة مرتبطة بموسى واختياره سبعين رجلاً من قومه ثم بعد حديث موسى ورجائه لربه أن يغفر لقومه ما ارتكبوه من إثم يقول تعالى: (قال عذابي أصيب به من أشاء. ورحمتي وسعت كل شئ).

ثم يقول: (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) وهذا الخطاب من الله سبحانه موجه لموسى عليه السلام في تلك اللحظة. لكن الآية التي تليها تبين أيضاً من هم الذي يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، فهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

فمن تلك اللحظة يعرف النبي موسى عليه السلام ويعرف قومه أن الله سيبعث النبي الأمي وقد سطرت صفاته وميقات بعثته في التوراة، حتى لا يكون لهؤلاء حجة على الله ويدّعون أن الله لم ينفذ وعده.

فمقياس كتابة الله الرحمة لهؤلاء المتقين الآتين الزكاة والمؤمنين بآياته هو اتباع النبي الأمي الذي أشار الوحي بصفاته وزمنه في كتاب موسى عليه السلام أولاً، ثم في إنجيل عيسى عليه السلام ثانياً.

فمن تلك اللحظة كان يدرك النبي موسى عليه السلام أن رسالته مقتصرة على قومه من بني إسرائيل وكذلك كان يدرك ذلك قومه، ويدرك أيضاً أن النبي الآتي والذي أوصافه مبثوثة في التوراة والإنجيل هو نبي الرسالة الخاتمة. وعلى أهل الكتاب أن يتبعوه ولا يحرفوا في كلام الله الخاص بشأنه كما هو شأنهم في تحريف بقية القضايا التي جاء بها كتاب موسى عليه السلام وكذلك التوراة.

ولننظر إلى هذه الصفات التي منحها الله لرسوله القادم.

إن هذا النبي هو نبي رسول أمي؛ أي ليس كتابياً إنه من أمة أخرى وليس من بني إسرائيل، وقد درج مصطلح أمي عند بني إسرائيل ويعنون به من كان ليس من اليهود. وقد أراد الله سبحانه من إيراد كلمة أمي كصفة من صفات النبي القادم دحض زعم اليهود أنهم أرقى صنفاً من الأميين ولييّن أن أكمل الرسالات وأعظمها شأناً هي رسالة هذا النبي المنتظر الأميّ. فإذا اتبعوه عندما يبعثه الله سبحانه فإنهم يفوزون برحمته وإن لم يتبعوه فقد خسروا خسراناً مبيناً.

ولننظر كم عدّد القرآن الكريم صفات هذا النبي.

فقال عز وجل: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) وهاتان من صفات جميع الأنبياء (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) وهذه صفات لم تكن في أنبياء بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل تشددوا حتى قيّدوا أنفسهم بشرائع قاسية وصعبة وجاء النبي محمد ﷺ ليخفف عنهم هذه القيود والأغلال، إضافة لتحريمه عليهم الخبائث كأكل الميتة والدم، ويحل لهم الطيبات لأنه فيما روي عنهم أنهم حرموا على أنفسهم بعض أنواع اللحم ولحوم بعض الحيوانات كالجمل والأرنب بحجة أن شفة كل منهما مشقوقة. وهناك العشرات من القيود التي قيدوا بها أنفسهم فجاء رسول الله ﷺ ليفكها لأنها لا تقترب من الحرام بل هي محللة من الله سبحانه وتعالى.

ثم أردف سبحانه قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف 157]. والآية واضحة المعاني والمقاصد لا تحتاج لتفسير. إنما نوضح مسألة هنا وهي أنهم آمنوا به ونصروه واتبعوا ما جاء في القرآن من تعاليم واضحة.

ويؤكد القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعرفون النبي الأمي وصفاته فيقول: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة 144].

ويؤكد ذلك مرة أخرى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة 146].

فالنبي المنتظر منذ موسى عليه السلام ومروراً بجميع الأنبياء حتى عيسى عليه السلام معروف لدى أهل الكتاب، ويعرفون صفاته مثلما يعرفون أولادهم لكن بعضهم يصر على كتمان الحق وهو يعلم.

وحتى يقطع الله سبحانه دابر كل شك حتى لأتباع عيسى عليه السلام فقد بشر بالنبي القادم المخلص.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف 6]

وقد جاء في الإنجيل قول السيد المسيح عليه السلام (وجاء مشتهى الأمم) إشارة إلى انتظار البشرية للنبي الذي تشتهيه الأرواح والنفوس والعقول وهو محمد ﷺ ومع أننا استثنينا إنجيل برنابا فإن الشواهد المبشرة بالنبي محمد ﷺ كافية ووافية لتدلل على قدومه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التبشير بمقدم سيدنا محمد ﷺ في إنجيل برنابا جاء واضحاً جلياً حيث صرح باسمه تماماً مثلما صرح به القرآن الكريم. وفي كثير من مواقع الإنجيل ـ أي إنجيل برنابا ـ يتحدث السيد المسيح عليه السلام عن رسول الله ﷺ وعن صفاته وزمنه وأمته.

مما نستنتجه يشير إلى أن النبي المنتظر حسب التوراة والإنجيل هو النبي محمد ﷺ. وقد أكدت ذلك نصوص التوراة والإنجيل. لكن أهل الكتاب حاولوا إبعاد الحقيقة فحرفوا الكلمات والمعاني وحرفوا مقاصد ما قاله الأنبياء لينفوا تلك الصفات المتعلقة بالنبي المنتظر عن سيدنا محمد ﷺ. لكن الله سبحانه يبين ذلك من خلال آيات القرآن الكريم ودحض افتراءاتهم وتحريفاتهم وإخفائهم الحقائق.

لقد كرر القرآن الكريم تأكيده بأن أهل الكتاب كانوا يعرفون صفات النبي حق المعرفة كما يعرفون أبناءهم. فمن من الآباء لا يعرف أولاده؟ إن الابن هو الأشد التصاقاً بوالديه وهما اللذان يعرفانه منذ أن حملت به أمه ووضعته، ويعرفانه يوماً بعد يوم ويعرفان كل ما فيه من صفات جسدية ومعنوية. فأهل الكتاب يعرفون صفات النبي المنتظر محمد ﷺ تماماً كما يعرفون أبناءهم. وفي هذا أدق الأوصاف للمعرفة الحقة. وهذا يعني أن كتاب موسى عليه السلام والتوراة والإنجيل وما قاله الأنبياء لم يترك أمراً من صفات النبي المنتظر إلا وذكره كي لا يكون لهم حجة أو مهرب من الاعتراف به واتباعه كما أمرهم الله.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنعام 20-21].

فنتيجة نكرانهم للحق والحقيقة فقد خسروا أنفسهم وهم أظلم الناس لأنهم افتروا على الله كذباً وكذبوا بآياته ولن يفلحوا أبداً طالما أنكروا ما جاءت به كتبهم من أحاديث كثيرة وطويلة في صفة النبي المنتظر محمد ﷺ.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨١ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة 78-82].

ونلاحظ هنا أن أهل الكتاب كانوا يتولون الذين كفروا في معاداة النبي محمد ﷺ. ولو كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بهذا النبي الخاتم ما تولوا الذين كفروا لكنهم ملعونون لعنهم داود وعيسى عليهما السلام لأنهم كانوا يعتدون ويعصون الله وينكرون نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وكانوا قد أمروا أن يؤمنوا به وينصروه.

ثم أردف قوله تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للمسلمين المؤمنين اليهود والمشركون وهذا الجمع بين الطرفين يوضح كم كان اليهود معادين للنبي ﷺ ولأمة الإسلام مثلهم مثل أهل الشرك من عبدة الأصنام والأوثان.

وقد وصفهم القرآن الكريم ووصف أساليب تحريفهم ومكرهم وحقدهم فقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام 91].

فهم لم يعترفوا بما أنزل على قلب رسول الله ﷺ وقالوا ما أنزل الله على بشر من

شيء. وهذا يعني أنهم لا يؤمنون بما أنزل على الأنبياء حتى موسى عليه السلام

ويرد عليهم سبحانه وتعالى: من الذي أنزل كتاب موسى؟ وها هو بين أيديكم تقسّمونه وتجعلونه قراطيس مجزأة تظهرون منها ما يناسبكم وتخفون منها ما لا يناسبكم.

لقد علموا ما لم يكونوا عالمين به ولا آباؤهم. فإذا كنتم تنكرون قدر الله سبحانه وتنكرون ما أنزل على الأنبياء إذاً فمن أنزل الكتاب على موسى؟ فإن قلتم لا أحد فمعنى ذلك أن هذا الكتاب الذي تجعلونه قراطيس هو باطل ليس من الله. لكن الله الذي أنزله وأنزل القرآن إن كنتم آمنتم به أو لم تؤمنوا فذرهم يا محمد في خوضهم يلعبون.

وأخيراً يقول الله سبحانه مخاطباً أهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة 15].

وأخيراً بعث الله سبحانه نبيه الذي انتظروه طويلاً ثم رفضوه، ورفضوا ما أنزل عليه لكن الله سبحانه أخزاهم وفضحهم أبشع خزي وأقسى فضيحة. فها هو رسول الله يبين لهم كثيراً مما أخفوه من كتاب موسى والتوراة والإنجيل، وهذه قصمت نفوسهم لأن هذا النبي الذي ختمه الله الأنبياء والمرسلين أوحى له ربه ما كان يخفي أهل الكتاب فبين لهم ذلك الذي أخفوه فأسقط في أيديهم، فهل بعد من علامات لنبوة هذا النبي المنتظر الخاتم؟

ماذا يعني مجيء النبي الأميُ المنتظر؟

عبر آلاف السنين عاش أهل الكتاب وهم ينتظرون النبي المخلص العالمي الإنساني الذي ينسخ الرسالات السابقة ويلغي حالة الانتظار، وعندما بعثه الله سبحانه أدرك أهل الكتاب أنه هو النبي المنتظر المبّشر به في التوراة والإنجيل، وذلك من خلال مقارنتهم بينه وبين ما بشر به الأنبياء، وعندما تيقن أهل الكتاب من ذلك آمن بعضهم لما عرفوا من صفاته المكتوبة في كتبهم، وكان على رأسهم عبد الله بن سلام الذي قال لليهود مواجهة إنكم تعرفون أنه النبي المشار إليه في كتبكم؛ لكن الأكثرية من اليهود رفضوا الاعتراف بنبوته حسداً وحقداً وجحدوا به فكان مصيرهم الخزي والخسران والترحيل.

وقد أشار لذلك قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام 89].

لقد آتاهم الله الكتاب ـ كتاب موسى ومنحهم الحكمة والنبوة ولكنهم كفروا بها جميعاً فلذلك استبدلهم الله بقوم ليسوا بها كافرين. وهؤلاء القوم هم المسلمون الذين اتبعوا الرسول محمداً ﷺ واتبعوا كتاب الله والنبوة.

ومع ذلك كله فإننا نسأل ماذا يعني مجيء النبي المنتظر؟

نعتقد أنه ما قام به عبد الله بن سلام والذين آمنوا من أهل الكتاب، وهو إيمانهم بنبوة محمد ﷺ ودخولهم في دين الله الذي ختمه هذا النبي الأمي الإنساني العالمي، يعني أن حالة الانتظار الطويلة لخاتم الأنبياء والمرسلين الذي بعث رحمة للعالمين قد انتهت وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فلا حاجة بعد للانتظار؛ لأن النبي محمداً ﷺ قد ختم النبوة وختم الرسالات.

وقد أوضح القرآن الكريم أن مهمة الدعوة وحمل مسؤوليتها لم تعد تقع على عاتق نبي، بل هي تكليف للمؤمنين جميعاً. وهؤلاء المؤمنون وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر 32].

فكتاب الله وما فيه من أوامر ونواه هو كتاب الله الكامل المتكامل، وقد أورثه الله سبحانه للذين اصطفاهم من عباده، والمقصود بهم أمة الإسلام التي ختم الله برسالتها كل الرسالات السابقة.

إن التكليف الإلهي تكليف جمعي وليس فردياً، فالأمة كلها مكلفة لا يقتصر التكليف على أحد دون آخر.

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة 143].

إذاً لا نبي بعد محمد ﷺ، ولا أمة غير أمة الإيمان والإسلام يختتم بهما الله سبحانه

الأنبياء والرسالات. محمد ﷺ ينتقل إلى الرفيق الأعلى ويترك شيئين ما إن تمسكت بهما الأمة لن تضل أبداً، كتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، أمة ليست بحاجة إلى نبي جديد ينتظرونه ليخلصهم ويهديهم سواء السبيل. الخلاص وسواء السبيل ونور الطريق كلها موجودة في القرآن الكريم وسنة نبي الله ﷺ.

ولو لم ينحرف أهل الكتاب وخاصة اليهود عن تعاليم الأنبياء، ولو لم يخفوا الحقيقة لما تنطحوا ورسخوا إلى حين المفهوم الخرافي بعودة المسيح الذي يسير على هواهم ويحقق أطماعهم بالسيطرة على بني البشر واستعبادهم. فلنتصور خرافتهم العنصرية التي تقول بعودة المسيح الذي يأتي ليجلس على كرسي داود ويحكم ألف سنة سعيدة.

لقد بثت التوراة وكذلك الإنجيل عشرات النبوءات والإشارات التي تؤكد أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ وقد اعترف بها كبار الكهنة من اليهود زمن رسول الله ﷺ وغيرهم من الأحبار في أزمان لاحقة.

إن فكرة انتظار المخلص أصبحت في خبر كان إن صح التعبير، فليس لها وجود إلا في العقول الخبيثة وغير المتوازنة، العقول التي ترى الحقيقة وتخفيها. ولعل أسوأ النفوس تلك التي تختفي في أجساد من كفروا من أهل الكتاب، فهم يعادون النبي الأمي العالمي، يعادون من يتبعونه حسداً وغيرة؛ لأنهم وطول تاريخهم كانوا يريدون أن يبعث الله نبي آخر الزمان على هواهم.

وبُعث محمد ﷺ فكشف انحرافهم وضلالهم وحارب فسادهم وإفسادهم، بعث ليظل من اتبعه مسلطاً على هؤلاء الفاسدين طالما هم يفسدون في الأرض.

النبي المنتظر.. شهادة السموأل بن يحيى المغربي

السموأل، هو صموئيل بن يحيى، رباني يهودي تتلمذ على يدي والده الذي كان حبراً من أحبار اليهود في المغرب.

قرأ السموأل التوراة ودرسها وعرف خفاياها، وقرأ القرآن الكريم والإنجيل والتلمود، وبعد صراع نفسي فكري ترك بلده وهاجر إلى المشرق وظل ينتقل من بلد إلى بلد حتى استقر به المقام في فرغانه، وهناك أعلن إسلامه بشهادة علماء المنطقة، وأراد أن يظهر رأيه بالتوراة فألف كتابه المعروف غاية المقصود في الرد على اليهود.

ومن هذا الكتاب نقتطع محاكمته لما حرفه التوراتيون اليهود بشأن صفات النبي محمد ﷺ.

ذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى ﷺ

يقول السموأل في كتابه: إنهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس (التثنية) من التوراة: (نابي أقيم لا يقيم مقارب أحيهم كاموخا ايلا وتشماعون) وتفسيره: نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك فليؤمنوا.

وجاء في التوراة المترجمة إلى العربية: (يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت) "تثنية 18: 15 ـ 17".

يقول السموأل: وإنما أشار إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ. فإن قالوا: إنه قال من وسط إخوتهم وليس في عادة كتّابنا أن نعني بقولنا إخوتكم إلا بني إسرائيل قلنا: بلى. قد جاء في التوراة: إخوتكم بني العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله: (اتيم عوير بغبول أحيحم بني عيسو وهيّو شبيم بسعير) وتفسيره: أنتم عابرون في تخم

إخوتكم بني العيص المقيمين في سيعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم.

وجاء النص في التوراة المترجمة: (أنتم مارّون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً لا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً) "تثنية 2: 4 ـ 6".

وعيسو أخو يعقوب النبي عليه السلام وهما توأم وقد هجر عيسو أباه إسحق بعد أن بارك إسحق يعقوب وتزوج من كنعانية، ونسله لا يعتبره اليهود من بني إسرائيل.

يقول السموأل: فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحق فلذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا إن هذا القول أشير به إلى صموئيل النبي عليه السلام لأنه قال من وسط إخوتهم مثلك وصموئيل. كان مثل موسى من أولاد لاوي يعنون من السبط الذي كان منه موسى.

فلنسألهم فإن كنتم صادقين فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بصموئيل وأنتم تقولون: إن صموئيل لم يأت بزيادة أو نسخ أو أشفق من أن تقبلوه لأنه أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرعٍ يخاف تكذيبكم، من ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم.

فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن بموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة إرميا أو أشعيا وغيرهما من الأنبياء، وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى عليه الصلاة والسلام وأتباعه.

الإشارة إلى اسمه في التوراة

يقول السموأل: قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطباً لإبراهيم الخليل عليه السلام: وأما في إسماعيل قبلت دعاك هاقد باركت فيه وأثمره وأكثره جداً جداً، وهذا قوله في لغتهم (وليشماعيل شمعتينا هني براختي أوثو وهن بيثي أوثو بماذماد) فهذه الكلمة (بماذماد) إذا عددنا حساب حروفها بالجمل كان اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد ﷺ فإنه أيضاً اثنان وتسعون. وإنما جعل ذلك في هذا الموضع لَغْزاً. لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة. كما عملوا في غير ذلك. فإن قالوا: إنه يوجد في التوراة عدة كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساوياً لعدد حساب

حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء فالجواب أن الأمر كما يقولون. لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة لكنا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية؛ لأنها وعد من الله لإبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل، وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر. ثم إنا نبين أنه ليس في هذه الكلمة آية تساوي (بماباد) التي معناها جداً جداً. وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى. فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة. وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجلّ أولاد إسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً ﷺ. وإذا بيّنا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد بطل اعتراضهم.

ويورد السموأل المواضع التي أشير فيها إلى نبوة الكليم موسى والمسيح والمصطفى عليهم السلام. فيقول:

(وأما أذوناي مسيناي اثكلي وريهور يقاربه مسيعغير اتجري لانا استحى بغبورتيه على طوراد فاران وعميه ربوات قديشين) وتفسيره قال: إن الله من سيناء تجلى وأشرق نوره من شيعير وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات المقدسين هم ويعلمون أن جبل شيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص الذين آمنوا بعيسى عليه السلام بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام. ويعلمون أن سيناي هو جبل الطور لكنهم لا يعلمون أن فاران هو جبل مكة. وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر باتباع مقالتهم. فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليهما السلام سكن إسماعيل في برية فاران. ونطقت التوراة بذلك في قوله: (وتقاع لوامد إشياماي يرض مصراييم) تفسيره: وأقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر. فقد ثبت من التوراة أن جبل فاران سكن لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة نزلت على جبل فاران. وقد علم الناس قاطبة

أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل محمد ﷺ وأنه بُعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل فدل ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة، وأن التوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوة المصطفى ﷺ وبشرت به. إلا أن اليهود لجهلهم وضلالهم لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين بل يسلمون بالمقدمتين ويجحدون النتيجة لفرط جهلهم. وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس مع الفطنة والرأي، ذلك قوله تعالى:

(كي عووي أوتاد عيصوت هيما وابن باهيم تبونا) وتفسيره: إنهم لشعب عديم الرأي وليس فيهم فطانة[1].

وقد أكد ذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة 5].

(1) السموأل بن يحيى المغربي ـ مخطوط غاية المقصود في الرد على اليهود ص 31 ـ 32 ـ 33.